الحجاب بين الأصالة والمعاصرة (٢)

د. عبد اللطيف عربيات

ج- قصة وتاريخ اللباس الشرعي في الأردن :

في صفحة خاصة وفي آخر نشرة طبعت تحت عنوان صلاة ركعتين للعلامة المرحوم علي الطنطاوي كتبت بداية قصة اللباس الشرعي في الأردن وقد جاء فيها :

"في صيف عام ١٩٦٢ هبطت في مطار عمان طائرة ألمانية تحمل بين ركابها سيدة كريمة فاضلة . وأطلت السيدة على مستقبليها يلفها الوقار وتكللها السكينة ويشع منها الإيمان وهي ترتدي جلباباً أنيقاً ساتراً سابقاً فضفاضاً ..

تلك كانت المرة الأولى التي يرى فيها الجلباب ، وأما تلك السيدة التي كانت صاحبة الفكرة والتصميم والسابقة في تطبيق هذه السنة الطيبة فقد كانت الأخت الشهيدة بنان الطنطاوي ابنة الشيخ الجليل علي الطنطاوي وزوجة الداعية المسلم عصام العطار ..

وعندما أقيم بعد ذلك بأيام في قاعة الكلية العلمية الإسلامية بعمان حفل كبير تحدث فيه فضيلة الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله عن حكم اللباس الشرعي وعرضت الشهيدة بنان عدداً من الجلابيب الشرعية من ابتكارها وتصميمها بدأت السيدات باقتباس هذه الفكرة بالمباركة وتفصيل وارتداء هذا اللباس الشرعي الجديد الذي أطلق عليه منذئذ اسم الجلباب ، ومازال ينقل وينتشر منذ ذلك الحين حتى عمّ أوساط المسلمات المتدينات في معظم بقاع الأرض ، هذه هي قصة الجلباب شعار المسلمة الملتزمة في الربع الأخير من القرن العشرين ، كما

بدأ وانطلق مع الشهيدة السيدة بنان الطنطاوي فادعوا لها بالرحمة وحسن المثوبة كلما ارتديتن جلابيبكن" انتهى الاقتباس " .

هذه بداية مسيرة الجلباب في الأردن والتي أصبحت قدوةً ومنارة في البلاد العربية والإسلامية ، كما أصبحت عرفاً وواقعاً معترف به خضعت لـه أعنـاق المعـادين والمتسغربين وارتاحت له نفوس المؤمنين الطيبين وفشلت كل الدعاوى والمحاولات التي اعترضت هذه المسيرة واستقر الأمر بتغيير اجتماعي هو الأكبر والأهم في تـاريخ التغيير الاجتماعي في هذا البلد ..

لقد تجلت في هذه المسيرة كل عوامل التغيير الاجتماعي الهادف وتـوفرت عناصر التغيير بصورة أبطلت محاولات المقاومة الشرسة التي واجهت هذا التغـيير ومن مختلف الجهات الشائنة والحاقدة والموجهة والجاهلة .. ونجحـت التجربـة وبصورة فريدة وسريعة في الوقت الذي أحبطت فيه محاولات كثيرة للتغيير سواء كان ذلك على المستوى الحكومي أم الشعبي وما مبادرات وثائق السلط والكرك واربد الشعبية عنا ببعيد في تغيير هو أدنى بكثير من هذا الذي حصل في موضوع اللباس الشرعي في الأردن . ونظراً لضيق الوقت أود أن اختصر المراحل الـذي مرت به هذه المسيرة فإنني أوجز معالمها الرئيسية بما يلي :

١- إن صاحبة الفكرة رحمها الله من بيت في الذروة من العلم والورع والقدوة الاجتماعية فهي ابنة العلامة المرحوم علي الطنطاوي وزوجة المجاهد العالم المعـروف عصام العطار أمد الله في عمره .. وهي كذلك رحمها الله الذكية والمبدعة والداعيـة التي تحمل أهداف أمتها وهي المؤهلة لترسم معالم الفكرة وتجسدها واقعاً على الأرض بنموذج مقبول ومحقق لمقاصد اللباس الشرعي المطلوب والمرغوب فيه ..

٢- لقد تحمس عدد من السيدات المسلمات في عمان وتقدمن بإيمان وقناعة بارتداء هذا اللباس وخرجن إلى الشارع بهذا الجديد كليـة في مجتمعنـا الأردني حيث كما ذكرت في مقدمة حديثي كان اللباس عندنا في المدن إما الملاية الشامية

أو الزي الغربي المعروف وفي مناطق الأرياف والبادية لباس خاص متعارف عليه والذي استقر وفق تغيرات تاريخية وبيئية وعملية ..

٣- لقد كان الحدث كالصاعقة في شوارع عمان ومنتدياتها .. ما هذا الجديد ..! ومن وراءه .. وما هي أهدافه ؟ فخرجت موجات عاتية من ردات الفعل المستنكرة والمستغربة والمستعلمة والمؤيدة .. فقيل هذا وراءه نساء فقيرات .. أو غير متعلمات أو من مستويات غير متقدمة في المجتمع وغير ذلك كثير ..

وما هي إلا بضعة أشهر حتى هدأت العاصفة واستقر الأمر بالتدريج نتيجة إيمان اللواتي قدن التغيير العميق ووضوح الهدف من التغيير وهو توق شديد من المسلمين حجبهم عنه ظروف فوق إرادتهم نتيجة الاستلاب الثقافي وموجات التغريب التي حماها ورعاها دعاة التغريب ومن يوجههم من حكام الانتداب ومن سار على دربهم .

٤- لقد كانت أيام عصيبة قبل استقرار الأمر والاعتراف به فقد تعرض من قاد هذا التغيير إلى التشكيك والتشويه ومن عوامل صمود هذه المجموعة المؤمنة أنهن من المثقفات والمتعلمات والمعلمات القائدات في المجتمع ، وهن في مراتب اجتماعية واقتصادية ينظر إليهن بتقدير واحترام عند أبناء المجتمع بعامة وأن إصرارهن على ذلك أحبط كل المحاولات المعادية والمضللة .. إن هذه العوامل التي توفرت لإنجاح عملية التغيير هي مجال دراسة لعلماء الاجتماع في جامعاتنا يمكن دراستها وتقييمها والعمل على تعميمها من أجل أحداث التغيير المطلوب لتطوير مجتمعاتنا في الاتجاهات كافة ..

٥- لقد أثار هذا النجاح والصمود على المبدأ والفكرة عدداً من الخيرين في مجتمعنا الطيب وفي مقدمتهم الأخ سعد الدين الزميلي وإخوانه ومعارفه حيث تنادوا لتقديم متطلبات اللباس لمن يرغب بالمجان فكانت مكرمة وتعاوناً على الخير سرّع في إنجاح التغيير وإيصاله إلى كافة أنحاء الأردن ، المدارس والجامعات وكليات المجتمع والمجتمعات المحلية حتى أصبح وكما نراه اليوم والحمد لله رب العالمين .

٦- لقد أثار التغيير الهادف والشامل حفيظة الكثيرين في داخل الأردن وخارجه وأذكر عندما كنت مسؤولاً في وزارة التربية والتعليم في بداية الثمانينات زارتنا وزيرة التربية الكندية وجاء معها سفير كندا في بيروت حيث لم يكن لكندا سفير في عمان .. وقد اصطحبتهما إلى المدرسة الشاملة في الشميساني للبنات في عمان . . وكان عجبي كبيراً من استغراب السفير الكندي لمنظر اللباس الشرعي للطالبات و لم تمنعه صفته الدبلوماسية وواقع الضيافة من إظهار اندهاشه واستغرابه الذي وصل إلى درجة الحنق .. كيف تمّ هذا ومن يقود ذلك .. إلى آخر التساؤلات وكان يومها نسبة اللواتي يلبسن الشرعي من الطالبات حوالي ٥٠% في هذه المدرسة .. فأردت أن أعطيه فكرة أفضل فأخذتهما إلى المدرسة المهنية الثانوية في الأشرفية وكان استغرابه واندهاشه أكبر حيث كانت نسبة اللواتي يلبسن الشرعي من الطالبات حوالي ٨٠% فقال مستغرباً ما الفرق بين هذه المدرسة وما شاهدناه في الشميساني فقلت له : هؤلاء هنا أقرب إلى نبض الشعب المسلم من أولئك فكان حنقه اكثر ..!

٧- إن المساجلات والمقاومة في جامعاتنا كانت كبيرة ويومها كانت الجامعة الأردنية في الطليعة مشهودة لها في الأخذ والرد والمقاومة والقبول حتى استقر المقام أيضا و لم يصبح اللباس الشرعي لطالبات كلية الشريعة فقط بل تقدم أمامهن طالبات الهندسة والطب وبقية الكليات في العلوم الطبيعية .

٨- لقد استقرت المسيرة وهدأت العواصف وأصبحت الصورة طبيعية وتفوق هذا التغيير على غيره وأصبح اللباس الشرعي عالمياً وما يحدث في تركيا وفرنسا وألمانيا ليس ببعيد عن الممانعات والتصديات لصحوة المسلمين على إسلامهم وأنفسهم ..

وثمة قضية جديرة بالدراسة والاهتمام ألا وهي التغيير الطوعي والشعبي مقابل التغيير الرسمي وتخصيصاً في ميدان اللباس الشرعي وما أمثلة إيران وتركيا وباكستان والسودان ومصر عنا ببعيد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته